

# قصة الجهاد عند الإمام السجاد عليه السلام

إليه يعود الكلام

منبر  
المحضر

## الهدف:

محاور الموضوع  
قبس من شخصية الإمام السجاد عليه السلام .  
التعرف على ملامح الحياة الجهادية  
محطات في جهاد الإمام السجاد عليه السلام .  
والسياسية عند الإمام السجاد عليه السلام .

## تصدير:

عن الإمام السجاد عليه السلام : «العامل بالظلم والمعين له، والراضي به شركاء ثلاثة»<sup>(١)</sup>.

(١) بلاغة علي بن الحسين عن الاثني عشرية، العاملي: ٢٢٤.

## قبس من شخصية الإمام السجاد عليه السلام :

ولد الإمام زين العابدين عليه السلام في السنة الثامنة والثلاثين للهجرة النبوية في شهر شعبان، واختلف المؤرخون في يوم ولادته ومكانها، فبعضهم قال: إنه ولد في الكوفة<sup>(١)</sup>، فيما قال آخرون إن ولادته كانت في يثرب<sup>(٢)</sup>. استمرت إمامته أربعة وثلاثين سنة، وتوفي مسموماً. حسب أكثر الروايات التاريخية. في عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان<sup>(٣)</sup>، وذلك في النصف الأول من شهر محرم الحرام سنة ٩٥هـ، وقيل قبل ذلك أو بعده بقليل...

من أشهر ألقابه: «زين العابدين، والسجاد، وذو الثغفات، والبكاء، والعابد»، وأشهرها الأول...

جاء عن ابن الجوزي، أن رسول الله ﷺ هو الذي سَمَّاه بهذا الاسم<sup>(٤)</sup>. وجاء في تسميته بذئ الثغفات، أن الإمام الباقر عليه السلام

(١) شذرات الذهب ١: ١٠٤.

(٢) الفصول المهمة، ابن الصباغ المالكي: ١٨٧.

(٣) الإتحاف بحب الأشراف، عبد الله الشبراوي الشافعي: ١٤٢.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٩١.

قال: «كان لأبي في موضع سجوده آثار ثابتة وكان يقطعها في كل سنة من طول سجوده وكثرته...»<sup>(٥)</sup>.

وبرز على الصعيد العلمي والديني، حتى قال سفيان بن عيينة «ما رأيت هاشمياً أفضل من زين العابدين ولا أفقه منه»، وعده الشافعي أنه: «أفقه أهل المدينة». وقال له عبد الملك بن مروان يوماً: «لقد أوتيت من العلم والدين والورع ما لم يؤته أحد مثلك قبلك إلا من مضى من سلفك...»<sup>(٦)</sup>.

## محطات في جهاد الإمام

### السجاد عليه السلام :

يمكن اعتبار حضوره في كربلاء ومواقفه في الشام، وتخطيطه في المدينة بعد عودته إليها هي المحطات التي تؤشر الأبعاد الحقيقية التي بلورت شخصيته الجهادية.

### المحطة الأولى: في كربلاء:

تؤكد المصادر التاريخية أن الإمام السجاد عليه السلام كان حاضراً في كربلاء إذ شهد واقعة الطف بجزياتها وتفاصيلها وجميع مشاهداتها المرعبة، وكان شاهداً عليها ومؤمراً لها، ولعله يُعتبر أصدق وأهم مراجعها على الإطلاق. ومما ورد في هذا السياق:

(٥) المناقب ٤: ١٨٠، ١٨١.

(٦) تاريخ العقبين ٢: ٣٠٣، ٣٠٥.

«وكان علي بن الحسين عليلاً، وارتقت يومئذ، وقد حضر بعض القتال، فدفع الله عنه وأخذ مع النساء»<sup>(٧)</sup>. وإن كلمة (ارتقت) هذه تدل على اشتراكه في القتال، لأنها تقال لمن حُمل من المعركة بعد أن قاتل وأُخذ بالجراح، فأخرج من أرضها وبه رمق، كما يقول اللغويون<sup>(٨)</sup>. إلا أن المؤكد في معظم المصادر التاريخية، أنه كان يوم كربلاء مريضاً أو موعوكاً<sup>(٩)</sup> ولحد الذي لا يستطيع الوقوف على قدميه، أو لا تحمله قدماء.

### المحطة الثانية: في الكوفة:

نعم، في معسكر الأعداء، وفي أسر الخصوم، في الكوفة ومجلس أميرها، وفي الشام وأمام مليكها والتي لا يقل الموقف البطولي فيها عن ميدان الوغى وحومة الصراع، يستحضر الإمام السجاد عليه السلام مصارع إخوته وأبناء عمومته، فيقف شامخاً في قصر الإمارة بالكوفة مع عمته زينب عليها السلام. في ذلك المجلس يلتفت ابن زياد إلى الإمام السجاد عليه السلام ويقول: «ما اسمك؟» قال «علي بن الحسين» قال: «أثم يقتل الله علي بن الحسين؟» فسكت، فقال: «مالك لا تتكلم؟»

(٧) جهاد الإمام السجاد، محمد رضا الحسيني الجليلي، ص ٥١.

(٨) لسان العرب ج ٤، ص ٤٥٧.

(٩) الإرشاد، المفيد، ص ٢٣.



قال: «كان لي أخ يُقال له علي قتله الناس»!! فقال ابن زياد: «إن الله قتله، فسكت الإمام عليه السلام». قال: «مالك لا تتكلم؟» فقال عليه السلام: «الله يتوفى الأنفس حين موتها... وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله...». ثم غضب ابن زياد فأراد قتله على جرأته وتجاسره على الطاغية بتلك الأجوبة، فتشبّث به عمّته زينب عليها السلام وتعلّقت به، وقالت لابن زياد: «يا ابن زياد، حسبك منا ما أخذت، أما رويت من دماننا؟ وهل أبقيت منا أحدا؟ أسألك الله. إن كنت مؤمناً. إن قتلته لما تقتلني معه...»<sup>(١)</sup>.

### المحطة الثالثة: في الشام؛

أمّا في الشام وحيث الدور الإعلامي أكثر تأثيراً من ققعة السيوف وطعن الرماح مع ما يستبطن من فضح وكشف واحتمال تصفية وقتل، يقف الإمام السجاد عليه السلام في مجلس يزيد ويلتمس الإذن بالحديث فيُسمع له، فينبري بعد أن يحمده الله ويثني عليه مسفهاً الدعاوى الأموية التي حاولت تشويه نهضة أبيه، وتزييف أهداف ثورته، قائلاً: «يا معشر الناس: فمن عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه نفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن مروة والصفاء، أنا ابن محمد المصطفى... أنا ابن المقتول ظلماً، أنا ابن المجزور الرأس من القفا أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن صريع كربلاء...، أيّها الناس إن الله تعالى وله الحمد، ابتلانا أهل البيت ببلاء حسن، حيث جعل راية الهدى والتقى فينا وجعل راية الضلالة والردى في غيرنا...»<sup>(٢)</sup>. إنّه عليه السلام، باختصار شديد، وبهذه الخطبة الموجزة أصبح

الرمز الذي يقود مسيرة الإحياء - إحياء هذا الدين المضيق الذي شوّهته السلطة الأموية وحكمت أو تحكمت باسمه... فتراه عليه السلام حين أراد يزيد أن يقطع حديثه بالأذان للصلاة، يُعلق على صوت المؤذن الذي يقول: «أشهد أن محمداً رسول الله، بقوله: «يا يزيد! هذا جدي أم جدك؟ فإن قلت جدك فقد كذبت! وإن قلت جدي، فلم تقتل أبي وسبيت حرمه وسبيتني؟»، ثم قال مخاطباً الناس: «أيّها الناس، هل فيكم من أبوه وجده رسول الله ﷺ؟» فعلت الأصوات بالبكاء.

### المحطة الرابعة: في المدينة

خيمة خارج المدينة: لعل أول موقف سياسي حكيم كان على الإمام عليه السلام أن يتخذ بعد عودته إلى المدينة، وبعد أيام من مشاعر الحداد والنحيب التي أججها في نفوس أهلها، هو أن يناهى بعيداً عن الناس الذين أدرك ضعفهم وخواءهم في لحظات المواجهة الساخنة مع الأعداء، فاتخذ خيمة في البادية، واستظل ببيت من بيوت الشعر في فيافيها مع مجموعة من عياله وأهل بيته وخلص شيعته.

نعم، اتخذ عليه السلام هذا الموقف ليعمّق الشعور بالذنب لدى أهل المدينة الذين خذلوا أبيه، واكتفوا بالبكاء أو التباكي معه حين عودته أولاً، ولكي يتحاشى الاصطدام بالحكام الأمويين الذين سيستهدفونه حتماً إذا أحسوا منه أي بادرة أو همسة للتحريض ضد حكمهم ثانياً، (فبقي خارج المدينة من سنة ٦١ هـ إلى نهاية سنة ٦٣ هـ)<sup>(٣)</sup>.

### الموقف من الحركات الثورية:

من هذا المكان النائي راح الإمام السجاد عليه السلام يرصد عن كثب أنباء تلك الثورات التي رفعت شعارات الثأر للإمام الحسين عليه السلام، وإن كان بقي

بعيداً عن بعضها؛ ولعل ثورة التوابين بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي، وكذلك ثورة المختار، كانت أبرز الأمثلة على تعضيد الإمام سرّاً لمثل هذه الحركات، ولو بدرجة من الدرجات، رغم أنّه لم يعلن ارتباطه المباشر معها، ولكنه ترك الأمر لعمّه محمد بن الحنفية لكي يتعامل مع روادها بحكمة ودقّة، مشيراً إليه باختصار: «يا عم، لو أن عبداً تعصب لنا أهل البيت، لوجب على الناس مؤازرته، وقد أوليتك هذا الأمر، فأصنع ما شئت...»<sup>(٤)</sup>.

ويشير العديد من المؤرخين أنّه لما أرسل المختار برؤوس قتلة الإمام الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه إلى الإمام، خرّ الإمام ساجداً ودعا له وجزّاه خيراً<sup>(٥)</sup>. أما ما ينقله بعض المؤرخين من سلبية موقف الإمام السجاد من المختار وثورته فهو محاولة لتشويه تلك الثورة التي أدخلت السرور على بنات المصطفى ونساء الرسالة<sup>(٦)</sup>. إضافة إلى قيام الإمام السجاد عليه السلام بأداء دور كان لابدّ له أن يؤديه، لكي يُبعد عن أذهان الأمويين المتربّصين به ارتباطه بهذا التأثير العظيم، وبالتالي تبرير استهدافه وقتله من قبلهم.

### الموقف من

### الظالمين: عبد الملك وهشام؛

بعد أن رسّخ الإمام السجاد عليه السلام موقعه في قاعدته الشعبية، رأى عليه السلام أن الخطوة الأولى هي كسر هيبة الحكام الأمويين وتهشيم هائلهم التي صنعوها بشراساتهم وفرعونيتهم ودعواوهم العريضة بالانتساب إلى الإسلام، والشواهد التاريخية كثيرة في هذا السياق.

(٤) مناقب آل أبي طالب ٤: ١٥٧.

(٥) تاريخ العقبين ٢: ٢٥٩.

(٦) تاريخ العقبين ٢: ٢٥٩.

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٤٣٥.

(٢) مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب

المازندراني، ٤: ١٨٢.

(٣) فرحة الغري، ابن طاووس: ٤٣.